التاريخ عند ابن أبي شيبة

إعـــداد
الدكتور/ سليمـــان الرحيـــلي

أستـاذ مشارك بقسم التاريخ والحضـارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الريـــاض

ملخص البحث

عني علماء الحديث خلال القرون الثلاثة الأولى بتدوين التاريخ وذكر مروياته، وعلى رأسهم أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) صاحب المصنف، سواء من خلال أبوابه كالمغازي والجهاد والفضائل أم من خلال كتبه الأخرى كالتاريخ والجمل وصفين والفتوح التي وصلتنا مضمومة للمصنف عدا الفتوح فهو مفقود.

ويتناول هذا البحث التعريف - باختصار - بأهمية المصادر الحديثية في دراسة التاريخ ثم التعريف بالمصنف وملامح عصره وذكر مؤلفاته، ثم يفصّل في دراسة التاريخ بمعرفة منهجه ومواده فيه، وفروعه عنه، مثل المعارك والفتوح وتواريخ المدن والأقاليم وتراجم الأعلام وآداب الحرب ومعاملة أهل الذمة. مع مقارنة بالمصادر التاريخية المبكرة ما أمكن. والإشارة إلى بعض ما تفيد به أو حفظه من الروايات التاريخية التي فقدت مصادرها أو انخرمت من المسجد منها.

والله ولي التوفيق.

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم.

تمثل كتب المصنفات والصحاح والسنن مصدراً مهماً من مصادر التاريخ الإسلامي المبكر، فهي لا تخلو من ذكر فتح أو غزوة أو سرية أو وصف موقف أو حادثة أو مكان أو قول خليفة أو قائد أو والٍ ترجمت له، فتزيد من التفصيل المذكور عنه في المصادر التاريخية أو تذكر صورة أخرى له موافقة فتدعمه أو فيها زيادة فتجليه أو مغايرة فتعيد النظر في دراسته والموقف منه؛ ولذلك فإن عدم الرجوع إليها في الموضوعات التاريخية المشتملة عليها يعد قصوراً منهجياً في عدم استيفاء مادتها، ويبقى نتائج دراستها ناقصة. وإذا كانت كتب الصحاح عنيت أخيراً باهتمام المؤرخين والرجوع إليها، ودراسة منهجها في إيراد الحوادث التاريخية، فإن كثيراً من المصادر الحديثية الأخرى مازالت تحتاج إلى الاهتمام نفسه من قبل المؤرخين المحدَثين، فهي مظان كبيرة لجوانب عديدة من الأحداث التاريخية المختلفة.

إن غياب المصدر الحديثي في الدراسات التاريخية الحديثة يعد قصوراً منهجياً لا مبرر له، وقد آن الأوان لردم ما اتسع من الفجوة وإعادة التلازم والتراحم الذي كان قائماً بين هذين العلمين في صدر الدولة الإسلامية.

وقد ورد أصل الحادثة وذكرها بإجمال عند أصحاب المصنفات وجاء ذكرها بالتفصيل عند المؤرخين وقد يعود ذلك إلى أن الأولين يشترطون علواً ودقة في الإسناد أكثر من المؤرخين، وهو ما ظل يراعيه أصحاب الصحاح وتساهل فيه المؤرخون.

ثم إن طبيعة الاختصاص اقتضت التضييق عند المتأخرين واقتضت التوسع عند الأولين.

وكان أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) عدّاً من أعلام المصنفين في الحديث، يشبّه بالإمامين البخاري ومسلم. وأحد رواة الصحيحين الثقة سواء في المرويات التي أشرنا في البحث أو غيرها. وقد روى عنه البخاري في عدة مواضع ولا سيما في كتاب المغازي.

يمكن قبولاً من أهل الاختصاص في التاريخ بل كثير من القراء يعرفونه مؤرخاً بعد ثم كانت مؤلفاته التاريخية المبكرة والثقة في مادتها وقيمة المنهج التي اتبعه فيها مصدراً مهماً لبعض المصادر التاريخية المشهورة كالبلاذري والطبري والخطيب البغدادي.

وقد كان يعتنيه سبق ابن أبي شيبة بذكر روايات تلك الحوادث أو أنها جاءت في مصادر أخرى قبل سبقه بها الكثيرين أيضاً. والثقة فيه تحتم الإفادة الكبيرة من مروياته فيها.

وهنا قبل عرض كثير من الروايات والأخبار الواردة في المصادر الأخرى على ما أورد ابن أبي شيبة، كما في موضوعه ومقارنته سيثري الدراسة التاريخية في مجالاتها لا من حيث القيمة المصدرية لمادتها فحسب وإنما من حيث المضمون والمنهج أيضاً.

وعند مقارنة أهميته التاريخية نجد أن حجم مادة الغزوات عنده يوازي تقريباً ما ورد عنها عند ابن سعد على الرغم من أن هناك غزوات لم يرو فيها ابن أبي شيبة شيئاً.

وقد أدرك اختلاف في طرق الإسناد والمتن في كثير من المواضع التاريخية عن الآخرين ولا سيما المؤرخين فإن ذلك يثري البحث فيها، ويتيح مجالاً واسعاً للمقارنة بينهما.

ورغم شهرته عند المؤرخين الأوائل واعتمادهم عليه فإنه لم يحظ بالاهتمام المرجعي في الدراسات التاريخية الحديثة.

ولهذا جاءت هذه الدراسة في محاولة للفت أنظار الباحثين المحدثين في التاريخ إلى أهمية مؤلفات ابن أبي شيبة التاريخية وضرورة تأسيهم بأسلافهم الذين أدركوا تلك الأهمية والمنزلة السامية لمؤلفها في الاعتماد عليها في كثير من فروع التاريخ وأبواب التأليف فيه.

ابن أبي شيبة :

هو أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، ولد بالكوفة سنة ١٥٩هـ[١] ونشأ وتعلم بها، ثم رحل إلى البصرة وبغداد ومكة والمدينة[٢]. وكان من بيت علم اشتهر منه أخواه عثمان والقاسم وابنه إبراهيم بن أبي بكر وابن أخيه محمد بن عثمان بن أبي شيبة[٣].

ومن أشهر من تلقى العلم وروى الحديث عنهم شريح بن عبدالله القاضي وعبدالله بن المبارك ووكيع بن الجراح وأخوه عثمان بن أبي شيبة، وآخرون غيرهم[٤] أكثر من رواية التاريخ عنهم مثل عبدالله بن إدريس وأبي أسامة.

أما أشهر من تلقى عنه فهم الشيخان الإمام البخاري ومسلم، وأبو داود وابن ماجه، والإمام أحمد وابنه عبدالله والإمام إبراهيم الحربي وآخرون كثيرون[٥].

ووصفه الإمام البخاري بأنه من أقران أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه

---

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٠ ص٦٦.
(٢) نفسه.
(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج١١ ص١٢٢-١٢٣.
(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٠ ص٦٦.
(٥) البخاري: كتاب التاريخ الصغير ج٢ ص٣٣٣.

ويحيى بن معين وعلي بن المديني . وقال الذهبي في الحس والتيقظ والحفظ[1].

يقال يحيى بن معين والإمام أحمد إليه صدوق[2]. ويصفه الذهبي بالحفظ الكبير الحجة. وإن إليه المنتهى في الثقة[3]. لعل أشد عرف عنه من قمة الحفظ حتى كان فيه مضرب المثل.

عقيدته:

عاش ابن أبي شيبة ما بين منتصف القرن الثاني والثالث أي في العصر العباسي الأول. وأدرك من خلفاء الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم والواثق وبداية عهد المتوكل. وكان المتوكل يقربه فضمن من قرب من علماء الدولة، وفي سنة ٢٣٤هـ نصبه في الرد على المعتزلة في قولهم بخلق القرآن. فجلس ابن أبي شيبة يملي أحاديثه في مسجد الرصافة ببغداد فاجتمع عليه نحو من ثلاثين ألفاً[4]. ويمكن ذلك على غزارة علمه ومكانته بين الناس حتى يحضر دروسه مثل هذا العدد.

وتوفي رحمه الله ببغداد سنة ٢٣٥هـ[5].

كما عاش ابن أبي شيبة في هذا العصر، وهو عصر نضج التدوين والتأليف في مختلف العلوم الإسلامية. عاش فيه الأئمة الأربعة والإمامان البخاري ومسلم وعبد الله بن المبارك.. وغيرهم كثير. وهو أيضاً عصر التأليف التاريخي وآخر مراحل نشأته بعد أن كان صنوي نشأة ومنهج وقتاً طويلاً.

---

(١) الجرجي: كتاب التاريخ عصوره ٢ ص ٣٣٠، ٣٣٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ١١ ص ١٢٢.
(٣) العسقلاني ١١ ص ١٣٣، ١٣٤.
(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢ ص ٤٤٠.
(٥) الخطيب: تاريخ بغداد ١٠ ص ٦٦.
(٦) الجرجي: كتاب التاريخ عصوره ٢ ص ٣٣٠.

ولهذا عاصر ابن أبي شيبة عدداً من المؤرخين الذين كانوا أعلاماً وقتذاك ولكنهم أشتهروا في التاريخ أكثر من غيره إلى جانب تبريز بعضهم في علوم أخرى مثل ابن إسحاق وابن هشام وابن سعد وخليفة بن خياط وعمر بن شبة ومصعب الزبيري.

وإذا كان عصره لا يزال يمثل اتصال التاريخ بعلم الحديث ولما كان ابن أبي شيبة من علماء الحديث، فإن كتابته للتاريخ كانت متأثرة بذلك منهجاً وغاية، فقد ضمن عدد من معاصريه من المحدثين كتبهم أبواباً في التاريخ حيث كانت المغازي باباً ثابتاً في مؤلفاتهم فجاءت مثلاً عند الصنعاني في مصنفه والبخاري ومسلم في صحيحيهما في الوقت الذي كثر فيه التأليف التاريخي المستقل، وظهر فيه الخروج على قواعد منهج المحدثين فيما يتعلق بالدقة والتحري، وبقي فيه بعض ضوابطه كالسند وهو منحى مهم يزيد في قيمة الكتابة التاريخية عندما تكون في هذا الوقت من مثل هذا العلم، وحسب التاريخ أن يكتب فيه مثله.

إن الإغراض في التأليف التاريخي والتساهل في السند كان حافزاً مهماً للمحدثين، ولبعض المؤرخين، لكتابة التاريخ على منهج تدوين الحديث والإبقاء عليه، مثلما فعل الطبري في تاريخه فيما بعد.

وعلى الرغم من استقرار منهج المحدثين رواية ودراية في علمهم وقتذاك، إلاّ أنه في تدوين التاريخ لم يكن بنفس القوة والتطبيق، فقد شاح عنه المؤرخون منذ ذلك الوقت وتحفظوا منه ثم تركوه في العصور التالية.

ولكن بقي بعض المحدثين خلال القرن الثالث يعقلون به تدوين التاريخ وعلى رأسهم ابن أبي شيبة.

مـؤلفاتـه :

ألف ابن أبي شيبة عدداً من الكتب هي كتاب السنن في الفقه، وكتاب التفسير، وكتاب المسند في الحديث[1].

ولم يذكر المتقدمون مثل النديم صاحب الفهرست والخطيب البغدادي أن له كتاباً اسمه المصنف في الحديث بينما ذكره المتأخرون كابن كثير[2] وحاجي خليفة[3] وإسماعيل البغدادي[4].

حتى أن النديم لم يذكر كتاباً لأي مؤلف بهذا الاسم، وأكثر من ذكر أسماء الكتب المتفقة مع مؤلفاته هذه في الاسم بما فيها المسند سواء لعلماء سبقوه أو عاصروه، ومناقشة ذلك خارج هذا الموضوع.

أما مؤلفاته التاريخية، فيذكر النديم إنها كتاب التاريخ، وكتاب الفتن، وكتاب صفين، وكتاب الجمل، وكتاب الفتوح. ولم يذكر الخطيب البغدادي شيئاً منها.

وكانت موضوعاتها من أغراض التأليف المهمة في التاريخ، وقد ألف فيها الكثير مثل أبي مخنف (ت ١٥٧هـ)[5] والواقدي (ت ٢٠٧هـ)[6] ونصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)[7] وعلي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥هـ)[8] وعمر بن شبة (ت ٢٦٢هـ)[9].

---

(١) النديم: الفهرست ص٣٨٥؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج١٠ ص٦٦.

(٢) البداية والنهاية ج١٠ ص٣١٥. وزاد ابن كثير: ولم يصنف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده. ج١٠ ص٣٥٦.

(٣) كشف الظنون ج٢ ص١٣١١.

(٤) هدية العارفين ج١ ص٤٤٠.

(٥) النديم ص١٠٥.

(٦) المصدر السابق ص١١١.

(٧) ياقوت: معجم الأدباء ج٧ ص٢١٠.

(٨) النديم ص١١٤.

(٩) المصدر السابق ص١٣٥.

أما من المحدّثين فقد ضمن كل من الصنعاني والبخاري ومسلم مؤلفاتهم أبواباً في التاريخ كالمغازي والسيرة النبوية ولكنها تقل عدداً عما ورد عند ابن أبي شيبة.

وقد اشتمل كتابه المصنف في الحديث على كتبه التاريخية السابقة[1] أو هكذا وصلتنا والسؤال هل كان كل واحد منها كتاباً مستقلاً ثم ضمت إلى المصنف وأصبح الرجوع إليها يتم من خلاله.

ولما كان عددها يبلغ خمسة كتب بعضها في حجم مجلد صغير وآخر متوسط فإنه يصعب قبول أن تكون أبواباً في المصنف لاسيما وأن النص واضح من قبل أن ابن أبي شيبة نفسه على تسميتها بالكتب وأن بعضها يتألف من عدة أبواب.

وإذا كان كتابا الفتن والمغازي هي ما تشتمل عليه كتب الحديث في الغالب على غرار مصنف الصنعاني والصحيحين مثلاً، فإن كتب صفين والجمل والتارخ والفتوح هي مما لم يألفه التأليف الحديثي ومن ثم عدم اشتماله على هذه المؤلفات كتباً أو أبواباً.

كذلك جاء في ترتيب كتاب التاريخ عند ابن أبي شيبة قبل كتاب المغازي، وهذا خلاف التسلسل الزمني والسياق الموضوعي للأحداث ولا اخال إلاّ أنه مقحم بين كتاب الجهاد وكتاب المغازي. واتصال الكتابين يتطلب تتابعهما بدون فصل على غرار ورودهما كذلك عند الصنعاني في مصنفه، ولكن قد يكون ذلك من خطأ أحد النساخ، ولكنه يدعم أن كتاب التاريخ كان مستقلاً عن المصنف ثم ضم إليه في أحد العصور.

كما أن إشارة النديم بأن له كتاباً اسمه الفتوح، وهو ما تؤكده دلالة كثرة

---

(١) جاء كتاب التاريخ في ج١٢ ص٥٤٧ وج١٣ ص٥، وجاء كتاب المغازي في ج١٤ ص٢٨٣، وجاء كتاب الفتن ج١٥ ص٥، وجاء كتاب الجمل في ج١٥ ص٢٤٨، أما كتاب صفين وسماه ما ذكر في صفين فجاء في ج١٥ ص٢٨٨.

التأليف فيه خلال القرن الثالث ولم يصلنا باباً أو كتاباً مضموماً إلى المصنف مما يدعم أن كتبه التاريخية كانت مستقلة على الأرجح.

ويظهر أن كتاب الفتوح ليس الكتاب التاريخي الوحيد المفقود للمؤلف وإنما له مرويات من كتب أخرى مفقودة، فقد أورد البلاذري روايتين منقولة عن ابن أبي شيبة تتعلقان بوفاة فاطمة وسعد بن أبي وقاص -رضيَ الله عنهما-[1] وسياقهما ما بين كتابين الفضائل والتاريخ له، إلاّ أنهما غيرَ موجودتين في نسخة المصنف الحالية مما يشير إلى أن بعض رواياته التاريخية ضائعة.

ثم إن النديم عندما يذكر غير كتابيَ السنن والمسند لأحد المؤلفين اللذين شاع التأليف باسميهما كثيراً خلال القرن الثالث فمعنى ذلك أن بقية كتبه التي يذكرها ليست من أبواب أحدهما. وإنما هي كتب مستقلة. فقد أورد لعبدالله بن المبارك كتاب السنن وكتاب التفسير. وكتاب التاريخ[2].

وذكر لإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) كتاب السنن وكتاب المسند وكتاب التفسير[3].

وذكر للإمام البخاري كتاب الصحيح وكتاب التاريخ الصغير والكبير.. الخ[4]. ولعلي المديني (ت ٢٥٨هـ) كتاب المسند وكتاب الضعفاء[5].

وهذا ما يرجح عند الباحث أنها كتب أخرى له صمت لكتابه الكبير المصنف في عصر من العصور حتى غدت كأنها أبواب منه، وسواء كانت كذلك أم مؤلفات مستقلة عنه فإنه ولله الحمد وصلتنا محتوياتها.

---

(١) البلاذري: أنساب الأشراف ج١ ص٤٠٤-٤٠٥.
(٢) النديم ص٢٨٤.
(٣) المصدر السابق ص٢٨٦.
(٤) نفسه.
(٥) نفسه.

منهجـه في كـتابـة التاريـخ :

فرَّق ابن أبي شيبة -رحمه الله- في كتابة التاريخ بين التاريخ بمعنى الأخبار والحوادث والأحوال، وبين التاريخ بمعنى التوقيت والتقويم وأورد في كل منهما ما يناسبه، وقدم الأول وابتدأه بالحديث عن معركة اليمامة[1] ثم ذكر بعده كثيراً من أخبار المعارك الإسلامية التالية مثل القادسية وتستر واليرموك.

وقد فَصَل ابن أبي شيبة بين أحداث المغازي، وبين أحداث التاريخ وعقد الحـديث في الأولى عن الغزوات الإسلامية في عهد الرسول عليه السلام. بينما أورد أحداث المعارك في العهود التالية في كتاب التاريخ.

وقد يعود ذلك إلى أن مفهوم الفصل بين التاريخ والمغازي ظل قائماً حتى عصره.

ثم إنه لما كان مُحدثاً واتبع منهج أهل الحديث في كتابة التاريخ، فإن ترتيب موضوعات مصنفه اقتضى أن يقسم التاريخ إلى غزوات وأحداث عامة، وأن يجعـل الغـزوات تلى باب الجهاد مباشرة ثم يذكر بعدها حوادث تاريخ المسلمين ذات العلاقة كالمعارك والفتوح[2].

كمـا أن هناك تشابهاً كبيراً في باب المغازي بين ابن أبي شيبة والإمام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) من أصحاب المصنفات، فهما يتحدثان فيه عن سيرة الرسول المبكرة مثل زواجه ونزول الوحي عليه، ثم يتحدثون فيه عن أوائل من أسلم من الصحابة، وقد توسع في ذلك ابن أبي شيبة أكثر من الصنعاني[3].

وتبـع هذا توسعـه في المـادة العلمية عن كل غزوة، بينمـا كان الإمـام البخاري أكثر تحديداً وقصراً له على المغازي من الاثنين.

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٥٤٧.

(٢) ابن أبي شيبة ج١٣ ص٥-٣٠.

(٣) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٣١٠-٥٣٩.

وقد راعى ابن أبي شيبة التسلسل الموضوعي في ذكر الأحداث وأوضح أمثلته ما أورده منها في كتاب التاريخ، فقد شمل معركة اليمامة، وقدوم خالد بن الوليد الحيرة، ومعركة القادسية وجلولاء، ثم تحدث عن فتح بعض أقاليم فارس مثل الجبل ومعركة تستر، ثم أتبع ذلك بذكر مرويات معركة اليرموك وتوجه عمر -رضي الله عنه- إلى بيت المقدس[1].

أما ما ورد عنده بشأن تأخير بيعة العقبة في كتاب المغازي بعد أخبار خلافة علي بن أبي طالب[2]. فهو غير مألوف في منهجه زمنياً أو موضوعياً، ويظهر أنه من أخطاء أحد النساخ، وله نظائر عند الصنعاني، فقد جاءت غزوة الحديبية مقدمة في ذكر أخبارها مقدمة على غيرها من الغزوات بما فيها بدر[3]. للسبب نفسه فيما يبدو.

والملاحظ أن ابن أبي شيبة قصر تاريخه على ذكر أخبار المعارك والفتوح الإسلامية وما يتعلق بها ولم يعن بذكر أخبار الحكام والبلدان والحواضر التي تمثل طوراً مهماً من أطوار مفهوم التاريخ عند المسلمين ومراحل كتابته المبكرة.

أما كتبه التاريخية الأخرى مثل الجمل وصفين، فهي موضوعية تدور رواياتها حول موضوع كل كتاب، ويظهر أن المصنف لم يراع ترتيباً معيناً لها سوى سياق الموضوع وتسلسل أحداثه في بعض الأحيان. أما كتابه الفتوح، فهو مفقود ولم نظفر بوصف له.

ومن مظاهر الثقة في منهج ابن أبي شيبة في تدوين مروياته ومنها ما يخص الحوادث التاريخية في كتبه وأبوابها عنده، إن كثيراً من رواياته جاءت بنصها أو

---

(١) يبلغ مجموع صفحات كتاب التاريخ ١٢٢ صفحة، وتقع في جزء ١٢ من ص٥٤٧-٥٨٠، وفي جزء ١٣ من ص٥-٩٤، ويعمل الباحث على تحقيق نصوصه.

(٢) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٩٧.

(٣) الصنعاني: المصنف ج٥ ص٣٣٠.

بمعناها في الصحيحين بعد ذلك، وهذا يدل على مدى الثقة والتحري الذي راعاه المصنف حتى أخذ الشيخان ببعض ما ذكره على الرغم من دقة تحريهما وشروطهما الدقيقة في صحة ما يثبتانه في الصحيحين.

كما أن ابن أبي شيبة يذكر روايات مباشرة عن الأحداث التاريخية، ولذا ورد كثيراً منها بلفظ (شهدت) و(رأيت)[1]. ومرويات شهود العيان بعد نقدها من أهم مقومات الدراسة التاريخية.

وكثيراً ما يذكر أن ما قام به هو من حفظه ومن ثم دَوَّنَهُ في مصنفه حول إحدى الغزوات وينص على ذلك بقوله (ما حفظت) في غزوة كذا[2].

ولكن من الملاحظ كثرة الروايات القصيرة في الأحداث التاريخية عند ابن أبي شيبة مقارنة بابن إسحاق قبله ومعاصره ابن سعد. وقد يعود هذا إلى اعتماده على الحفظ الذي أشار إليه كثيراً وهو مما لا يساعد في العادة إلى إيراد المطولات من الأحاديث والأخبار وتحتاج إلى الرجوع إلى المدون فيها. وعلى الرغم من ذلك لم تخل مدوناته التاريخية منها.

وقد اتبع ابن أبي شيبة أسلوب تكرار الرواية في الحدث التاريخي الواحد أحياناً وفقاً لتعدد طرقه أو مصادره، فهو المنهج الذي سار عليه بعض المؤرخين، كابن إسحاق والطبري.

وهو أسلوب يتيح للقارىء المقارنة والنقد إلّا أن أبي شيبة لم يكثر منه، وربما يعود ذلك أنه استبعد منذ البداية بعض الروايات التي لم تثبت عنده.

ودرج على ذكر الروايات المختلفة حول الموضوع الواحد وأمثلته كثيرة منها ذكره لاختلاف الروايات حول مدة بقاء الرسول عليه السلام في مكة والمدينة[3].

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٣ ص٣٤-٣٥.

(٢) المصدر السابق ج١٤ ص٤٢٤، ٤٢٧، ٥١٢.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ج١٤ ص٢٩١.

كما يأتي أحياناً بالروايات المتعارضة في الموضوع الواحد بين الاجازة والتحريم مثل روايات الاستعانة بالمشركين من عدمها[1].

ومن ملامح منهجه أنه يأتي بالرواية الواحدة في أكثر من موضع حسب مناسبته له فقد جاء بأحاديث في كتاب الأمراء، وجاء بها في كتاب الفتن، إلا أنه لم يكثر من ذلك على غرار ما وضح عند الإمام[2] مسلم عندما جاء بأحاديث غزوة تبوك في عشرة مواضع في صحيحه تبعاً لمناسبتها لها[3].

كما يبدو أنه تأثر بطريقة عروة بن الزبير في الجمع بين أسانيد عدة روايات في سبيل تأليف حادثة متكاملة وهو المنهج الذي اتبعه أيضاً ابن شهاب الزهري وابن إسحاق في بعض الحوادث[4]. ويظهر ذلك واضحاً في المقارنة بين مروياته وبعض مرويات عمر بن شبة في مقتل عثمان -رضي الله عنه-.

أما الاقتصار على ذكر سند الرواية والتنويه بمشابهة سابقتها في المتن فكثير عنده[5].

وقد اتسم أسلوبه بالرصانة ونصاعة العبارة في سرد الحوادث التاريخية، فهو أحد العلماء بخلاف أصحاب المرويات التاريخية من الأخباريين وغيرهم.

وأخيراً فإن تأليف ابن أبي شيبة في هذه الموضوعات كالجمل، قد يكون أحد أساليب النقد والرد على مؤلفات آخرين سبقوه، وبالذات المؤرخين الشيعة الذين غالوا وشوهوا حقائق تلك الأحداث من أمثال أبي مخنف صاحب

---

(١) المصدر السابق ج١٢ ص٣٩٤-٣٩٥.

(٢) المصدر السابق ج١١ ص١٣٩.

(٣) سليمان العودة: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق ص١٠٨.

(٤) محمد الأعظمي: مقدمة كتاب مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص٦٨.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ج١٢ ص١٣٦.

كتب الجمل وصفين ومقتل الحسين[1]. ونصر بن مزاحم صاحب كتاب صفين.

إلاّ أن روايات الجميع في التاريخ ينبغي أن تخضع لمنهج الجرح والتعديل سنداً ومتناً لتحديد ما يثبت منها وما يمكن التساهل في قبوله ورد ما عدا ذلك.

مـــــــــوارده :

لم يذكر ابن أبي شيبة في بداية مصنفه أسماء مصادره التي اعتمد عليها، لاسيما أنه لم يضمن مصنفه مقدمة يمكن أن يشير فيها إلى ذلك وابتدأ مباشرة بأحد الموضوعات الفقهية أو هكذا وصلنا مصنفه. ولكن من خلال تتبع رواياته التاريخية يمكن حصر عدد كبير من الرواة الذين نقل أو سمع منهم، فهو ينص عليهم في بداية كل رواية بقوله: حدثنا، أو قال فلان، ويذكر اسمه.

وعلى العموم فقد غلب على موارده الاعتماد على ثقاة الرواة وأهل الاختصاص في الوقت نفسه مثل ابن عباس[2] وابن شهاب الزهري[3] وعروة بن الزبير[4]. فقد كانوا من حيث الثقة من رواة الصحيحين، وكانوا ذوي اهتمام وتأليف في أحداث السيرة بالذات، فإن ابن عباس روى الكثير منها وقد يكون له كتاب فيها[5]، وعروة ابن الزبير هو أول من صنف كتاباً في المغازي[6]، وابن شهاب الزهري معروف كتابه القيم في السيرة، وإذا عرفنا أن الزهري وعروة كانا

---

(١) النديم: الفهرست ص١٠٥.
وأبو مخنف لوط بن يحيى اخباري تالف وشيعي محترق، أما نصر بن مزاحم المنقري فهو رافضي جلد متروك. انظر على الترتيب الذهبي: ميزان الاعتدال ج٤ ص٢٥٣؛ ج٣ ص٤١٧-٤١٨.

(٢) ابن أبي شيبة: المصنف ج١٤ ص٣٧٦.

(٣) المصدر السابق ج١٤ ص٣٩١، ٤٠٥، ٤٤٠، ٤٥٥، ٤٧٠.

(٤) المصدر السابق ج١٤ ص٣١٢، ٣٧٧، ٤٠٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٤، ٤٢٨، ٤٢٩.

(٥) محمد الأعظمي: مقدمة كتاب مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير ص٢٣.

(٦) ابن كثير: البداية والنهاية ج، ص١٠١.

من أكثر رواة الأحداث التاريخية عند البخاري، أدركنا القيمة الكبيرة لمرويات ابن أبي شيبة عنهما.

كما تلقى كثيراً من الروايات عن عدد كبير من الثقاة في عصره وبعضها كان عن شيوخه. فقد أكثر من الأخذ عن حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ) أحد أئمة الحديث والثقاة الأعلام في عصره. وقد أخذ عنه في المغازي.[١].

كما أخذ عن عبدالله بن إدريس (ت ١٩٧هـ) وهو أحد العلماء الذين رشحهم الرشيد للقضاء فلم يقبل. ووصفه الإمام أحمد بن حنبل بأنه نسيج وحده، تتلمذ عليه ابن أبي شيبة وكان جاراً له[٢]، فأكثر من الرواية عنه في أحداث المغازي والجمل وكتاب التاريخ.

وممن أخذ عنه يحيى بن آدم (ت ٢٠٢هـ) وهو أحد الثقاة فقد وثقه يحيى بن معين[٣]. ووصفه ابن حبان بالاتقان[٤].

وله كتاب في الخراج مشهور وقد حدث عنه ابن أبي شيبة في أخبار الجمل وصفين. ونقل عنه عدة مرويات فيهما لا توجد في كتابه الخراج وهي إما مأخوذة عنه بالسماع أو منقولة من أحد كتبه الأخرى التي لم تصل إلينا. كما أكثر من الرواية في التاريخ والمغازي عن أبي أسامة واسمه حماد بن أسامة[٥] وعلي بن مسهر[٦] وعفان بن مسلم الصفار[٧] وكلهم ثقاة. وإذا كان ابن أبي شيبة أكثر عن هؤلاء فإنه أخذ عن كثير غيرهم.

---

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال ج١ ص٥٩٠-٥٩٣.
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٩ ص٤١٧-٤١٨، ٤٢٠.
(٣) عثمان بن سعيد الدارمي: تاريخه ص٢٢٧.
(٤) ابن حجر: تهذيب التهذيب ج١١ ص١٧٥.
(٥) عثمان بن سعيد الدارمي: تاريخه ص٩٢؛ المقدمي: كتاب التاريخ ص١٣١.
(٦) عثمان بن سعيد الدارمي: تاريخه ص٧٠.
(٧) الذهبي: ميزان الاعتدال ج٣ ص٨١-٨٢.

وقد روى ابن أبي شيبة التاريخ عن عدد من المحدثين من أمثال حماد بن سلمة، وعبدالله بن إدريس، مما يعد أحد علامات الثقة في موارده التي اعتمد عليها، أما ترتيب مادتها وفق فروع التاريخ فهو من جهده ومن سمات منهج كتابة التاريخ عنده.

وبتتبع تواريخ وفيات من روى عنهم مثل عبدالله بن إدريس سنة ١٩٢هـ وعفان الصغار سنة ٢٢٠هـ نجد أنه استغرق وقتاً طويلاً في جميع مروياته ومنها التاريخية امتد أكثر من ثلاثين عاماً، وهو مؤشر واضح على أن ابن أبي شيبة ظل يتعهد مؤلفاته بالجمع والإضافة سواد عمره.

فـروع التاريخ عند ابن أبي شيبة :

تـاريـخ الأنبيـاء :

وفي تاريخ الأنبياء ذكر عدداً من الأنبياء مثل إبراهيم وموسى وعيسى ويوسف وداود عليهم الصلاة والسلام، وغلب على أخبارهم عنده الإيجاز، فهو يذكر بعض صفات كل واحد منهم ومعجزاته والعلاقة بينه وبين قومه، وتفاوت ذلك من نبي لآخر[1]. وقد اعتمد الطبري عليه كثيراً في أخبارهم في تفسيره لأن ابن أبي شيبة ضمنها بعض أقوال الرسول عليه السلام أو السلف الصالح بشأن تفسير ما جاء فيهم في القرآن الكريم.

السـيرة النبويـة :

حظيت أحداث السيرة المباركة بالتدوين التاريخي المبكر وعنى المحدثون والمؤرخون بها كثيراً، فقد ضمنها الأوائل مؤلفاتهم من مصنفات وصحاح وغيرها وأفرد لها بعضهم كتباً بعينها كعروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) وابن إسحاق (ت ١٥١هـ)، أو ضمنوها تواريخهم العامة مثل الطبري.

---

(١) ابن أبي شيبة: المصنف ج١١ ص٥١٧.

ويعد ابن أبي شيبة من أوائل أصحاب المصنفات الذين عنوا بالسيرة وتدوين مرويات أحداثها في مصنفه فيما يزيد على سبع وستين صفحة، ضمنها عدة روايات حول عمر النبي عليه السلام حين بُعِثَ ونزل عليه الوحي، وكيفية بدايات نزول الوحي عليه، وشق صدره ﷺ واستبشار خديجة وأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وبشرى ورقة بن نوفل له بالنبوة، ووعده بالانضمام له عندما يؤمر بالقتال في سبيل نشر دعوته فيما بعد، ووصف الرسول عليه السلام له بالقس[1].

وكذلك ذكر ما لاقاه من أذى قريش له، وما جاء به من حديث الإسراء والمعراج، وهو من المصادر المبكرة التي أوردت هذه الأحداث واعتمد عليها الكثير من أصحاب الدلائل والأسانيد والتاريخ. بيد أنه ينبغي معرفة قوة السند الذي تروى به تلك الأخبار عند نقدها وكذلك الخلاف في التفاصيل بينه وبين غيره كابن إسحاق مثلاً في حادثة شق الصدر[2].

ثم عقد المصنف عنواناً عن حديث الإسراء والمعراج بالرسول عليه السلام، ذكر فيه عشر روايات مطولة منها إخباره عليه السلام عن وصف البراق ثم مجيئه بيت المقدس، ثم العروج به إلى السماء ورؤيته لعدد من الأنبياء مثل إبراهيم وموسى عليهما السلام ثم مشاهدته سدرة المنتهى وفرض الصلاة على أمته[3]. ثم عد خبره على أهل مكة.

تاريخ الغزوات :

ذكر ابن أبي شيبة كثيراً من أحداث المعارك والغزوات الإسلامية ابتداء من غزوة بدر الأولى ثم الكبرى حتى معركتي الجمل وصفين في خلافة علي بن أبي طالب.

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٢٩٢-٢٩٤.

(٢) ابن هشام: سيرة النبي ج١ ص١٣٦.

(٣) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٠٢-٣٠٣.

وقد توسع ابن أبي شيبة في المادة العلمية عن كل غزوة، فقد كتب عن غزوة بدر ٣٦ صفحة، وكتب عن غزوة الخندق ٢٥ صفحة، وعن غزوة مؤتة تسع صفحات، في حين كتب الإمام الصنعاني قبله في مصنفه عن الغزوات كلها خمسين صفحة، وكتب الإمام البخاري في صحيحه عنها من بعده مثله أو أقل بيسير.

وفي غزوة بدر يبدأ الحديث عنها بالروايات حول تاريخ حدوثها، ثم ذكر بعض الآيات التي نزلت فيها وربطها بأحداثها كآية ﴿**سيهزم الجمع ويولون الدبر**﴾[1] وآية ﴿**وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به**﴾[2] ثم ذكر رواية عن اتخاذ المسلمين لهم سيما وعلامات تميزهم أثناء القتال عن المشركين وكانت من الصوف الأبيض[3]. وهي إشارة لطيفة ومازالت الجيوش في العصر الحديث تتخذ لها علامات للغرض نفسه.

ثم جاء بعدد من الروايات حول عيون الرسول عليه السلام واستخباره عن قوة جيش قريش وعدده وأين نزل، والشورى بين المسلمين في القتال، واختياره ميدانه، وبناء مركز قيادة لهم[4]. وما دار بين المشركين، من جدل حول الرجوع واختلافهم وتنابزهم بالألقاب، ثم بداية المعركة بالمبارزة، والتحام الفريقين وسقوط القتلى، وكان عددهم كبيراً من المشركين ثم وضعهم بالقليب، ووقوع عدد منهم في الأسر، وما ناله المسلمون من نصر وأنفال بالإضافة إلى عدد من الروايات الأخرى حول مواقف عديدة حدثت في بداية المسير للمعركة أو أثناءها أو في طريق العودة منها ـ لا تخلو من دروس وعبر عظيمة[5].

---

(١) سورة القمر آية ٤٥.

(٢) سورة الأنفال آية ١١.

(٣) ابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٥٨.

(٤) المصدر السابق ج ١٤ ص ٣٥٣-٣٨٧.

(٥) ابن أبي شيبة ج ١٤ ص ٣٥٣-٣٨١.

ثم أتبعها بالحديث عن غزوة أحد وبدأه بروايات بما يشبه التوطئة كمكر الرسول عليه السلام بالمشركين، ثم ذكر بعض مواقف الصحابة أثناء القتال كحذيفة بن اليمان وسعد بن أبي وقاص، ودعم الرسول عليه السلام ومساعدته له أثناء الرمي بالسهام حتى ذكر أنه فداه بأبيه وأمه حتى قال علي بن أبي طالب ما سمعته فدى أحداً بأبويه إلاّ سعداً. وكان سعد يذكر ذلك[1].

كما ذكر عدداً من الروايات حول كيفية استشهاد حمزة بن عبدالمطلب وغدر العبد الحبشي به. والموقف من كثرة القتلى والمعيار في تقديمهم داخل اللحود[2].

وكذلك كيف قابل الرسول عليه السلام إنكشاف المسلمين يوم أحد وكيف كان عليه السلام يعتذر منه لربه[3]. وهي روايات تشبه إلى حد كبير ما أورده ابن سعد في غزوة أحد مع اختلاف سند ابن أبي شيبة عنه إلاّ فيما قل[4].

ثم يورد المصنف رحمه الله تعالى عدداً آخر من الروايات حول مواقف مختلفة في تاريخ الغزوات منها ما يتعلق بالتخطيط الحربي، ومنها ما يتعلق بمقارعة العدو بالحجج والحقائق، مثل مقارعته بآلات الحرب فكل له تأثيره في الجانبين، وقد كان الرسول عليه السلام يرد على هتافات المشركين، ويخبر عن مصائر قتلى الطرفين ونحو ذلك[5]. فضلاً عن عدد من الروايات عن آلات الحرب وقتذاك.

وبعد ذلك تحدث عن غزوة الخندق وجاء بعدد من الروايات حولها دار

---

(١) المصدر السابق ج١٤ ص٣٨٩-٣٩٠.
(٢) المصدر السابق ج١٤ ص٣٩٢.
(٣) المصدر السابق ج١٤ ص٣٩٥.
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج٢ ص٤٢-٤٨.
(٥) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٤٠١-٤٠٣.

معظمها حول استشهاد الصحابي الجليل سعد بن معاذ[1]. مما قد يضيف جديداً لمن يدرس أحداثها أو سيرته بعناية.

ثم ذكر عدداً كبيراً من الغزوات مثل غزوة الخندق وبني قريظة والفتح وحنين وذي قرد وتبوك ومؤتة في تفصيل مناسب من الروايات المتعددة عن كل غزوة إلّا أن بعضها مثل الفتح وحنين وتبوك كانت رواياتها أكثر.

وفي الغالب لا تختلف مروياتها عما ذكر من قبل وربما ندرك من خلالها أن المصنف يميل إلى الوضوح في ذكر الأحداث، والبعد عن التداخل ففي غزوة مؤتة مثلاً بدأت روايتها عنده بتحديد ترتيب قوادها الثلاثة ثم ذكر ما حدث فيها، ثم إعلان نتيجتها، ووصف مواساة الرسول عليه السلام لأهل الشهداء وذكرهم بالخير والدعاء لهم، وبروايات مختلفة سنداً ومتناً عما أورد ابن سعد عنها[2].

ولم يذكر شيئاً عن غزوة يهود بني النضير بالمدينة على الرغم من أن الإمام الصنعاني قبله توسع في أخبارها[3] فذكر أصلهم، وموطن سكنهم، والمفاوضة معهم، والعلاقة بينهم وبين مشركي قريش، وتحريض الأخيرين لهم ثم إجلاءهم إلى بلاد الشام، وكذلك ذكرها الإمام البخاري فيما بعد[4].

وقد يعود ذلك إلى أن المصنف لم يحفظ فيها شيئاً فهو في الغالب يعتمد على حفظ ذاكرته في الأحداث وقد نص على ذلك كثيراً، أو يعود إلى ضياع أو خرم في النسخة التي وصلتنا ويستبعد أن يعود ذلك إلى أنه لم يثبت فيها شيء عنده بعدما ثبت عند غيره من قبل ومن بعد كما أشير إليه آنفاً.

---

(١) المصدر السابق ج ١٤ ص٤٠٨-٤١٦.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج ٢ ص١٢٨-١٣٠.

(٣) الصنعاني ج ٥ ص٣٥٧-٣٦٠.

(٤) صحيح البخاري ج ٥ ص٢٢.

كما لم يذكر شيئاً عن السرايا في عهد الرسول عليه السلام على الرغم من وثوق صلتها بالمغازي، فهل تابع في ذلك شيخه الصنعاني الذي لم يذكرها أيضاً، بينما أسهب فيها كل من ابن إسحاق وابن سعد من قبل والبخاري من بعد.

الخلفـــاء الراشـــدون :

في عهود الخلفاء الراشدين ذكر حدث وفاة كل منهم، وذكر بعض الأخبار في ذلك بطرق مختلفة، ثم يأتي أحياناً بشيء من سيرته، إلاّ أبا بكر الصديق فقد بدأ الحديث عنه بذكر كيفية مبايعته، وقد ضمن مروياته عن سيرة عمر أموراً في غاية الأهمية عنـد ذكر دراسة سياسته مثل قول عائشة فيه بأنه «كان غناء للإسلام، كان والله أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها»[1]. وقوله: أنى قد تركت فيكم اثنين لن تبرحوا بخير ما لزمتوهما: العدل في الحكم، والعدل في القسم[2].

وعلى الرغم من أن ابن أبي شيبة عَنْوَن ذلك بقوله ما جاء في خلافة كل منهم إلاّ أن ما ذكره هو ما يتعلق بوفاة أو مقتل كل منهم مع اختلاف في التفصيل والسند، فهو لا يشمل أخبار وحوادث عهودهم التاريخية لكن المؤرخ لا يعدم ذلك مما جاء متفرقاً في أبواب أخرى من المصنَّف مثل إسلام كل واحد منهم أو في كتاب فضائل الأعلام عنده.

حـروب الـردة والفتوح الإسلامية :

أما في حروب الردة فقد جاء بأخبار متفرقة عن معركة اليمامة بين خالد بن الوليد ومسيلمة الكذاب، وذكر ما عاناه المسلمون في البداية من الهزائم وكثرة قتلاهم وجرحاهم وأن بعضهم كان صائماً[3]. ثم ذكر رواية أحد شهود العيان

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٥٧٢.
(٢) المصدر السابق ج١٤ ص٥٨٢.
(٣) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٥٤٨.

وهو الصحابي الجليل أنس بن مالك كيف كان موقف خالد عصيباً ثم كيف كر على أهل اليمامة حتى بلغ حصنهم وتمكن البراء من قتل صاحبهم وفُرجت الشدة[1].

وعلى الرغم من إسهاب الطبري في ذكر أخبار معركة اليمامة، وتعدد رواياتها عنده[2]، إلاّ أن ابن أبي شيبة ذكر روايات أخرى منها أن شعار المسلمين فيها كان (يا أصحاب سورة البقرة).

ثم انتقل بعد ذلك إلى تاريخ الفتح في العراق على يد خالد بن الوليد، وذكر عدة روايات في مكاتبته مرازبة فارس، وبعض أحداث المعارك هناك مثل معركة الجسر ومقتل قائدها أبي عبيد الثقفي، وحديث عمر بن الخطاب عنه بأنه سيكون فئة له لو انحاز إليه[3].

وأسهب في وصف أحداث معركة القادسية بالنسبة للمعارك الأخرى، وتعدُّدُ الروايات والتفصيل في وصف الحدث عند أبي شيبة يتبع في كثير من الأحيان حجم الحدث نفسه. ولهذا فإن رواياته الكثيرة عن أحداث هذه المعركة لابد من الاعتماد والرجوع إليها لمن يدرسها.

وفي معركة تستر جاء بمعلومات لا تختلف كثيراً عما جاء به أهل الاختصاص في تاريخ الفتوح مثل البلاذري بل إن نسق ترتيب الأحداث في تلك المنطقة وقتذاك هو النسق الذي سار عليه البلاذري فيما بعد[4].

كما اعتمد كل منهما على مرويات من شهدوا المعركة أو نقلوا عنهم، وهو منهج متقدم في الكتابة التاريخية.

ولما انتهى من كتاب التاريخ ومرويات أحداث الفتح الإسلامي في العراق

---

(١) المصدر السابق ج١٢ ص٥٤٩.
(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٨١-٣٠٠.
(٣) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٥٥٦-٥٥٧.
(٤) فتوح البلدان ص٥٣٤-٥٣٨.

وبلاد فارس، انتقل إلى الحديث عن الفتوح في بلاد الشام وابتدأه بذكر ما حفظه ووصلته أخباره في غزوة اليرموك وإنه كان للمسلمين فيها خمسة ألوية، ثم ما آل إليه أمر المسلمين من قوة وحسن حال حتى حسنت معيشتهم ولبسوا الديباج والحرير حتى نهاهم عمر عن ذلك[1].

ثم ذكر طرفاً من أخبار زيارة الخليفة عمر إلى بلاد الشام وهيئة مركبه واستقبال الناس له، وإقراره لبعض مظاهر الخير وسعة الرزق التي ظهر بها بعض قواد المسلمين هناك، في الوقت الذي أبقى فيه هو على تواضع هيئته ومركبه على الرغم من نصح بعض الجند له بإظهار حال أحسن منها عند استقبال القواد وبطارقة الشام له. فأجابهم عمر بأن العزة ليست بالمظاهر وإنما بالإسلام «إنا قوم أعزنا الله بالإسلام»[2] وهي الحقيقة التي ما فتىء عمر يؤكدها في كل موقف.

كما ذكر اعتذار عمر عن دعوة أحد الدهاقين النصارى لحضور وليمة أعدها له[3].

أما في كتاب التاريخ بمعنى التوقيت فقد خصه المؤلف بالحديث عن أعمار بعض الأنبياء كآدم ونوح ويوسف ومحمد عليهم السلام وبعض مشاهير الصحابة كابن عباس والخلفاء الأربعة، ثم سنوات وفيات بعض الأعلام، حتى سنة ١٧٧هـ[4]. ثم أورد مدد عهود الخلفاء الراشدين وخلفاء الدولة الأموية حتى الخليفة المأمون على طريقة ذكر اسم كل خليفة ومدة حكمه[5]. وكان دقيقاً في ذكر عدد السنوات وكسورها التي مكثها كل منهم ووافقه في ذلك عدد من المؤرخين ممن جاء بعده وعلى رأسهم الإمام الطبري.

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٣ ص٣٤-٣٧.
(٢) المصدر السابق ج١٣ ص٤٠-٤١.
(٣) نفسه.
(٤) ابن أبي شيبة ج١٣ ص٦٩، ٧٠، ٧٣.
(٥) المصدر السابق ج١٣ ص٧٠-٧٢.

ثم الحقه بباب نفيس عن أسماء من اشتهروا بكنيتهم، أو ذكر كنى من اشتهروا بأسمائهم، لعدد كبير من الصحابة والخلفاء والقواد والأعلام المشهورين ذكر فيه سرداً للكنى المشهورة واسم صاحبها أو اسم الخليفة أو العلم، وكان ابن شيبة مصدراً لعدد ممن ألفوا في هذا الباب من القدامى، وقد ألف في هذا الباب فيما بعد كل من الإمام مسلم (ت ٢٦١هـ) والدولابي (ت ٣١٠هـ)، كتباً منفردة.

الفتن :

عقد ابن أبي شيبة باباً للفتن وسماه كتاب الفتن جاء فيه في البداية بعدة مرويات في مفهوم الفتنة العام، وكيف تكون وعلاماتها والموقف منها[1]، وذكر عدة روايات تجعل بعض الأحداث التاريخية منها مثل قتل عثمان ومقتل الحسين وحركة عبدالله بن الزبير.

وعلى أية حال فإن هذا الباب عند المحدثين لا يخلو من مادة تاريخية تفيد في موضوعاتها، ومنها مرويات ابن أبي شيبة حول مقتل الحسين وابن الزبير فهي مهمة عند دراسة تلك الأحداث وتعين في معرفة مواقف بعض الصحابة والتابعين منها، وتوضح جوانب من موقف الدولة الأموية إزاءها إلاّ أنه ينبغي عدم التسليم ببعضها لما يظهر عليه من الوضع والصنعة مثل سرد بعض الروايات في صفات تنطبق على أحد الرجلين والموقف منه، والنص في بعضها على أن الذي يخرب البيت العتيق هو رجل من آل الزبير[2] ونحو ذلك مما يوحي بأنها وضعت بعد أحداث الحركتين بأسلوب يوهم بأنها روايات سابقة جاءت الأحداث تؤكدها. وهو أمر لم تخل منه المصادر التاريخية أيضاً، وكان المصنفون الأوائل قد دونوا كل رواية وصلتهم، وتركوا نقدها وتمحيصها،

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٥ ص٥-١٥، ٧٠-٧٨ وغيرها.

(٢) المصدر السابق ج١٥ ص٨٤.

والأخذ بها أو ردّها لمن يأتي بعدهم، وقد وضح ذلك الطبري في مقدمته ولا يعني أنها مما صح عندهم.

وقد توسع ابن أبي شيبة في باب مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أكثر من الأبواب أو الموضوعات الأخرى في الفتنة، فقد جاء بأكثر من ١٢٠ رواية في أحداث مقتله[١]. وتبين في مجموعها تفاصيل ما دار بينه وبين الخارجين عليه ورجوعهم ثم عودتهم من الطريق ومطالبتهم له بخلع نفسه أو القصاص منه، وعزل بعض الولاة ورده ذلك ومحاجتهم فيه، وكيف اقتحموا عليه الدار وأسماء من باشر أو أشار بقتله منهم، وروايات أخرى فيما يترتب على تلك الفتنة من هلاك العرب وعدم اجتماعهم يداً واحدة بعدها، وقد انفرد ابن أبي شيبة بها بين أصحاب المصنفات مثل الصنعاني، كما أنها تشبه تفاصيل ما أورده وزاد عليه كثيراً عمر بن شبه فيما بعد في الموضوع ذاته[٢]. وهناك روايات متفقة في السند والمتن عند الاثنين مع تفصيل أو إيجاز فيه عند أحدهما أحياناً فهل أخذ عمر بن شبة عن ابن أبي شيبة ولم يشر إليه؟[٣] والمعروف أن الإمام الطبري رجع لابن شبة في موضوع مقتل عثمان رضي الله عنه إلاّ أن هناك روايات كثيرة عندهما لم ينقلها ولهذا فإن الرجوع إليهما مباشرة سوف يسهم في دراسة أحداثه ونقد مروياته من جديد.

وعلى الرغم من أن المصنف أخر مرويات مقتل عثمان عن الحديث عن فتنة مقتل الحسين وابن الزبير إلا أن حديثه في كتاب الجمل وترتيبه بعده ظهر كأنه نتيجة واقعة لتلك الأحداث كما هي حقيقة بالفعل ودلالة على افتراق الأمة بعد تلك الفتنة.

---

(١) ابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٢١٨-٢٢١.

(٢) عمر بن شبة: تاريخ المدينة ج ٤ ص ١١٤٩.

(٣) ابن أبي شيبة: المصنف ج ١٥ ص ٢١٥-٢١٩؛ عمر بن شبة: تاريخ المدينة ج ٤ ص ١١٤٩، ٢ ص ١١٥٠، ١٢٩٧.

حتى رد ابن سيرين في أحدها بقوله: «ما علمت أن علياً اتهم في قتل عثمان حتى بويع اتهمه الناس. وقال علي نفسه فيما بعد في البصرة: «والله ما قتلته وما مالأت على قتله»[1].

وكان عمار بن ياسر لا يجيز تكفير أهل الشام في صفين ويقول عنهم بأنهم مفتونون جاروا عن الحق، ويصفهم في رواية أخرى بأنهم فسقوا ظلموا.

كما جاء ابن أبي شيبة بروايات في نشأة الخوارج المبكرة وصفتهم وموقفهم من الخلاف بين علي بن أبي طالب ومعاوية ثم قتال علي لهم عند النهروان، وأشهر فرقهم وهي الحرورية[2].

معركة الجمل:

أفرد ابن أبي شيبة كتاباً لأحداث معركة الجمل، وبدأه بمسير عائشة وعلي وطلحة والزبير إلى الكوفة وبدأه برواية طويلة حول وفود بعض أهل البصرة على علي من بني راسب[3]، ثم كيف أنشب عُبدان الفريقين القتال وعقر جمل عائشة، وأن قلة قليلة من الصحابة شهدوا الجمل[4].

ثم ذكر عدة صور من تقدير الفريقين بعضهما بعضاً وأن الأمر لا يصل إلى التكفير «لم يكفر أهل الجمل» وكل منهم يلهج بالثناء على صاحبه ويعطى جائزة لمن يبشره أنه حيى. ووصف الفريق الآخر بأن: «إخواننا بغوا علينا»[5]. وربما جلس علي وأصحابه يوماً يبكون على طلحة والزبير[6].

---

(١) ابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٢١٠.
(٢) ابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٥-٣٢٦.
(٣) ابن أبي شيبة ج ١٥ ص ٢٥١.
(٤) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٦٤.
(٥) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٥٧-٢٥٨.
(٦) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٦١.

كما أورد عدداً من الروايات تشير أن طلحة والزبير بايعا علياً مكرهين فساغ لهما نقض بيعته. ومرة أخرى يريان أنه بدل[1].

وأخرى تذكر أن عائشة وعلياً كان يتمنيان أنهما لم يدركا معركة الجمل[2]. ويحكم موضوع هذا الكتاب فرواياته تدور حولها حتى جاء فيه بالروايات المتعارضة والمواقف المختلفة لمن شاركوا في أحداثه.

وبعد انتهاء المصنف من ذكر مرويات معركة الجمل عقد باباً لموقعة صفين بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- جاء فيه بأربع وأربعين رواية فيها، دارت بوضوح أكثر حول مواقف عمار بن ياسر -رضي الله عنه- وثباته مع علي وترديده القول: «لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل»؛ ومع هذا كان ينهى أصحابه عن تكفير أهل الشام، ويأمرهم بقول: فسقوا وظلموا[3]. فما أمر التكفير بهين. وقريب منه موقف علي رضي الله عنه عندما يروى المصنف أنه كان يحسن معاملة أسرى الشام ولم يقتل أحداً منهم ويكتفي بأخذ سلاحه ثم يخلى سبيله وربما أعطى الواحد منهم بعض الدراهم في سبيل الإحسان إليه[4].

ثم جاء بعد ذلك بروايات كثيرة حول ظهور الخوارج وموقفهم من علي وموقفه الحازم منهم بصور مختلفة معقولة بالسند وكثير منها بعبارة شهدنا، وكنا مع، وخطبنا، وأمثالها من عبارات شهود العيان، والقرب من الأحداث[5]. فضلاً عن أن ابن أبي شيبة يذكر مروياته حول أحداث الجمل وصفين والخوارج بطرق إسناد مختلفة في الغالب عما ورد عند الآخرين كأبي مخنف ونصر بن مزاحم والطبري.

---

(١) المصدر السابق ج١٥ ص٢٦١، ٢٧٢.
(٢) المصدر السابق ج١٥ ص٢٨٢، ٢٨٦.
(٣) ابن أبي شيبة ج١٥ ص٢٩٣-٢٩٤.
(٤) المصدر السابق ج١٥ ص٢٩٥.
(٥) المصدر السابق ج١٥ ص٣٠٣-٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣٢.

تـراجــم الأعـــلام :

تضمنت أحـداث السيرة النبـوية معلومات قيمة حول عدد من الصحابة كإسـلامهم وبعض صفاتهم وما تحلوا به من فضائل، وأدوارهم في المعارك والغزوات ومواقفهم في الحياة الإسلامية وقتذاك. مثل مرويات إسلام الخلفاء الراشدين الأربعة وكيفية ذلك، وإسلام كبار الصحابة الآخرين كالزبير وأبي ذر الغفاري وزيد بن حارثة وسلمان الفارسي وعدي بن حاتم وجرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنهم. والمصنف تحدث عن هؤلاء وغيرهم سواء عند مناسبة ذكر إسلامهم في كتاب المغازي[1]. أو عند مناسبة كلامهم في باب الزهد[2]، أو عند ذكر صفاتهم في باب طويل عقده للفضائل[3]، تحدث فيه بإسهاب عن أخبار كثير من الصحابة ومواقفهم وثناء الرسول ﷺ على بعضهم وأقوال بعضهم أو الآخرين فيهم، فعلى سبيل المثال ذكر عن عثمان خمسة عشر صفحة وعن الـزبير أربع وعن عبدالله بن مسعود ست صفحات وغيرهم كثيرا عدا ما جاء عنهم في مواضعه عند ذكر الأحداث التي شاركوا فيها أو ذكر فضائل قبائلهم أو أقاليمهم.

وذكـر في إسلام سلمان الفارسي رواية مطولة[4] لم يذكرها ابن إسحاق وهي مما تفرد به عنه.

وبجمع الروايات الكلية عن كل علم عند ابن أبي شيبة يصبح لدينا حوله كم كبير من المادة العلمية في التراجم والسير لا غنى عنها لمن يبحث في هذا الباب، كما تساعد في دراسة بعض مواقف الصحابة مثل أبي ذر والزبير رضي الله عنهمـا من الأحداث التاريخية في أواخر عصر الخلفاء الراشدين وبداية الدولة الأموية.

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٢٨٤.
(٢) ابن أبي شيبة ج١٣ ص١٩٢.
(٣) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٥
(٤) ابن أبي شيبة ج١٤ ص٣٢١-٣٢٤.

الدولــة العباســية :

أشاعت الدولة العباسية بأنها دولة عدل ومحاربة جور، وأنه سيكون من خلفائها مهدي يملأ الأرض عدلاً، وعزوا ذلك إلى أحاديث مروية عن الرسول عليه السلام وقد جمع ابن أبي شيبة عدداً منها في مصنفه منها أنه «لن تنتهي الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»[1] والمقصود الإشارة إلى الخليفة المهدي محمد بن عبدالله إلى درجة أن المهدي الذي يخرج في الناس قيدت الروايات وقتذاك خروجه بأنه بعد قتل محمد النفس الزكية[2]. أي وفق ترتيب الأحداث التاريخية المعروفة فالخليفة المهدي جاء بعد انتهاء ثورة النفس الزكية.

ولم يأت المصنف بمرويات في أخبار الدولة الأموية والدولة العباسية عدا ما أشير إليه سواء في أبواب المصنف أو في كتبه التاريخية المضافة إليه وقد يعود ذلك إلى طبيعة مؤلفه الأساس وهو في الحديث ثم أن تاريخ الدول وعهود الحكام لم يشع التأليف فيه كثيراً وقتذاك مثلما اشتهر التأليف في موضوعات كتبه التاريخية.

القبـائــل والأنســـاب :

لم يفت المصنف ذكر أخبار بعض الأحلاف والقبائل العربية مثل قريش وقيس وبني عامر وبني عبس وثقيف وبجيلة والمهـاجرين والأنصار والعرب عامة[3]. وتوضح هذه جانباً من أنسابهم ومكانتهم في الدولة الإسلامية ومواقف بعضهم من أحداثها ومشاركتهم في الفتوح والإدارة ونحوهما. وقد أثنى الرسول عليه السلام على كثير من صفاتهم أو مواقفهم أو دعا لهم مثل ثنائه على جهينة

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٥ ص١٩٨.
(٢) المصدر السابق ج١٥ ص١٩٩.
(٣) ابن أبي شيبة ج١٢ ص١٥٥-١٦٧، ١٩٧-٢٠٦.

واسلم وغفار وغيرها وقد توسع الإمام مسلم في ذلك[1]. فهو يذكر عن بني أسد أنه شهد ألفان منهم معركة القادسية وكانت لهم راية خاصة بهم.

كما كانت قيس مقدم جيش مسلمة بن عبدالملك في قتال الترك في بعض ثغور أرمينية[2].

وقد اهتم مؤرخو الأنساب بهذه المرويات عند التاريخ لأنساب هذه القبائل ولهذا فإن مصنف ابن أبي شيبة من المصادر المبكرة لكتب الأنساب، وقد رجع البلاذري إليه فيما يتعلق بنسب بعض بيوت قريش[3].

أحكام الحرب :

تحدث المصنف طويلاً عن أحكام الحروب وقواعدها، وعقد لذلك باباً باسم باب الجهاد بين فيه حكم الحرب ومبرراتها وشرعية الأسباب المؤدية إليها، ومقدماتها من بيات ومبارزة[4]. ثم ما يحدث خلالها من قتل وغزو في البر والبحر، والموقف من الأملاك في أرض العدو من زرع ودواب وعمارة، والموقف من كيفية معاملة الأسرى وتوزيع الغنائم ونصيب كل فرقة من الجيش منها. وهو في هذا يتابع المحدثين حيث دأبوا في مؤلفاتهم على عقد باب في بيان الجهاد وأقسامه وقواعده وأهدافه ووسائله. وكان الميدان لذلك على أرض الواقع هو التاريخ ـ بطبيعة الحال ـ من نشر للدعوة وقتال للمشركين وحروب اليهود والنصارى، وكل ذلك أخذ من أرض الواقع التاريخي واستشهد عليه بما فعله الرسول عليه السلام في غزواته أو أمر به قواده أو قاله في مناسبته أو عند حدوثه. أو سار عليه من جاء بعده من خلفائه الراشدين أو أحد أمرائهم وقواد جيوشهم. فوردت في مجاله معارك وأحداث وأدوات وغنائم وإدارة للمعارك

---

(١) صحيح مسلم ج٢ ص٤٠٤-٤٠٧.

(٢) ابن أبي شيبة ج٢ ص١٩٨.

(٣) البلاذري: أنساب الأشراف ج٣ ص٢٨-٢٩، ٥٤.

(٤) ابن أبي شيبة ج١٥ ص٣٦٩.

وإسناد وتموين وتوزيع غنائم في البر والبحر، وهي موضوعات مهمة لم يعن بها بما فيه الكفاية في الدراسات التاريخية. كما يأتي المصنف بعدة روايات بشأن عدم هدم الكنائس والبيع النصرانية في البلاد التي فتحها المسلمون ويذكر كتاباً مهماً لعمر بن عبدالعزيز وجهه لولاته بشأن عدم هدم أماكن العبادة للشعوب الأخرى والرهبان والعبَّاد العاكفين فيها[1].

وكذلك عدم التعرض لغير المقاتلة ومن ثم ذكر أن المسلمين الأوائل لم يكونوا يقتلون النساء والأطفال والشيوخ من الأعداء من مختلف الأجناس، بل كان لدى القواد المسلمين تعليمات بالرفق بالطبقات العامة كالفلاحين ونحوهم[2].

وقد أوصى أبو بكر الصديق قواده في بلاد الشام بعدة وصايا تعد دستوراً في الخلق الحربي خالداً سبق أي آداب أو قوانين حديثة حولها. منها عدم قتل الشيوخ والنساء والصبية أو قطع الشجر أو إغراق المزروعات أو عقر الحيوانات أو إشعال الحرائق وتخريب الدور والأسواق العامرة[3].

إن الخلق الحربي وآداب القتال في الإسلام كانت أحد عوامل انتصاره وانتشاره السريع في البلدان المفتوحة وأدرك أهلها أن الحرب الجديدة لها أهداف ووسائل تختلف عن الحروب التي عانوا منها من قبل ولهذا فإن مرويات ابن أبي شيبة في هذا المجال تقدم مادة مهمة لمن يبحث انتشار الإسلام.

أما الأمان الذي ذكره ابن أبي شيبة فهو بمعنى الإجارة وكيف أن المسلمين الأوائل كان يجير عليهم الرجل منهم حتى إن المرأة كانت تجير فيقبلون من أجارت[4].

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٣٤٣، ٣٨٧.
(٢) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٣٨٣.
(٣) نفسه.
(٤) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٤٥٢-٤٥٣.

أما الأمان بمفهومه الواسع فيما يعرف بنظام المستأمنين في الحضارة الإسلامية لأهل الذمة والسفراء والتجار فلم يتطرق له على الرغم من توسع الإمام أبي يوسف فيه من قبل[1].

تاريخ المدن :

أما في تاريخ المدن فقد أورد ابن أبي شيبة مجموعة أحاديث عن فضائل المدن والأقاليم الإسلامية مثل المدينة والكوفة والبصرة واليمن والشام[2]. ففي فضائل المدينة ذكر أن من أسمائها طابة وأن الدجال لا يدخلها في آخر الزمان، وكذلك حديث أن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها، وقد أورده الإمام مسلم في صحيحه فيما بعد[3]. كما أورد عدداً من الروايات عن مركزي الكوفية والبصرة في الإسلام[4]. وكذلك الحال بالنسبة لأقليمي اليمن والشام، ولهذا كانت هذه المعلومات مادة مناسبة للذين أرخوا لتلك المدن والأقاليم في القرون التالية مثل عمر بن شبة في تاريخ المدينة، وابن عساكر في تاريخ دمشق وبلاد الشام.

ولم يذكر ابن أبي شيبة شيئاً عن مدن وأقاليم مهمة مثل مكة وبغداد ومصر على الرغم أن سياق رواياته تطلب ذلك، فهل لم يجد ما يذكره عنها أم أن أقساماً حوتها من مصنفه ضاعت.

الفداء :

لازم الفداء وتبادل الأسرى العلاقات الحربية بين المسلمين وأعدائهم خلال عصور التاريخ وذكر ابن أبي شيبة صوراً من كيفية إجرائه ووقائعه في عهد

---

(١) أبو يوسف: كتاب الخراج ص٢٠٣-٢٠٤.
(٢) ابن أبي شيبة ج١٢ ص١٧٩-١٩١.
(٣) صحيح مسلم ج٢ ص٤٠٥.
(٤) ابن أبي شيبة ج١٢ ص١٨٨-١٨٩.

الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين وعهد الدولة الأموية ومن ذلك أن الرسول عليه السلام فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين من بني عقيل[1]، وأنه لم يكن يقبل فدية أو أن يبقى أحد من قتلى المشركين إذا ما طلبوا ذلك[2]. وأشار إلى فداء جرى بالسوس في أقصى المغرب في العهد الأموي بين موسى بن نصير وأحد قواد الأعداء هناك[3].

ولم تذكره كتب التاريخ العامة كالطبري والمسعودي وابن الأثير على الرغم من أن المسعودي توسع أكثر من غيره في ذكر الأفدية بين المسلمين والروم[4]. ومن ثم تفرد به ابن أبي شيبة. بالنسبة لما ذكر من مصادر.

الإمامة والسياسة :

احتلت الإمامة والسياسة حيزاً مناسباً عند ابن أبي شيبة فقد جاء بعدد من الأحاديث والأقوال في طاعة الإمام ونص على أن الإمام الذي تجب طاعته هو من يحكم بما أنزل الله وأن يؤدي الأمانة الملقات على عنقه نحو محكوميه، وأن يكون من أولي العقل والفقه يقود الناس بكتاب الله عز وجل[5].

وحذر من تولي الإمارة في أي مجال حتى ولو في السفر إلّا بشروطها من الحق والعدل «فإنه ما من أمير عشرة إلّا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه من غله ذلك إلّا العدل». والضابط فيها أن من يسألها يوكل إليها، وحسب الإنسان ضعفاً، ومن أوتيها من غير مسألة يعان عليها، وكفى بعون الله وتوفيقه لعبده[6].

والمؤلف افتتح باب الجهاد بذكر ما ورد في الإمامة والسياسة وربما أسهم

---

(١) ابن أبي شيبة ج٢ ص٤١٦.
(٢) المصدر السابق ج١٢ ص٤١٩.
(٣) المصدر السابق ج١٥ ص٤١٨.
(٤) المسعودي: التنبيه والإشراف ص١٦٠.
(٥) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٢١٢-٢١٤.
(٦) المصدر السابق ج١٢ ص٢١٥-٢١٨.

هذا في صرف الباحثين المتأخرين فيها عن الرجوع إليه لاستقلالها عن الجهاد والحرب في المؤلفات المتأخرة كالماوردي والغزالي حيث عقدا لها أبواباً مستقلة. كما ذكر المصنف رحمه الله كثيراً من الروايات التي تعبر عن السياسة والحكم بالأمر[1]. وهو فيما يبدو المصطلح السياسي الذي يطلق عليهما في الماضي، كما وردت عنده كلمة عالم بالسياسة في مناسبة ما ينبغي أن يتحلى به الأمير[2].

آلات الحـــرب ورايـــاتها :

اشتملت الروايات التاريخية التي أوردها ابن أبي شيبة في مصنفه على بعض آلات الحرب وخططها مثل السيوف ومسمياتها الرماح والمنجنيق والتروس والدروع.

وكذلك لا تخلو من الإشارة إلى بعض الخطط الحربية كالكمين والالتفاف والخندق والبيات أو الهجوم الليلي سواء في أحداث معركة اليمامة أو الجسر أو القادسية وغيرها. وبالإضافة إلى ما ورد عنها عنده في كتب الأحداث التاريخية فإن كتاب الجهاد حوى على الكثير من وصفها.

كما جاء المصنف بعدد من الروايات في مناسبات عدة بأن رايات المسلمين في العهد النبوي كانت سوداً وعلى رأسها راية الرسول عليه السلام المسماة بالعقاب وتابعه المسلمون في ذلك فكانت راية خالد بن الوليد في فتح دمشق سوداء وكانت راية علي في موقعة الجمل سوداء أيضاً[3]. وعلى الرغم من أن نصر بن مزاحم معاصره ذكر الرايات الإسلامية الأولى بعدة ألوان ومنها راية بيضاء وأخرى حمراء[4].

---

(١) المصدر السابق ج١٢ ص ١٧٠، ١٧٢-١٧٣.

(٢) ابن أبي شيبة ج١٢ ص ٥٦٠.

(٣) ابن أبي شيبة ج١٢ ص ٥١٢-٥١٣.

(٤) نصر بن مزاحم المنقري: وقعة صفين ص ٢٨٩.

فإننا لا نعرف تعليلاً لاقتصار ابن أبي شيبة على مرويات الرايات السوداء إلّا أن يكون ذلك بتأثير روح العصر العباسي الذي عاش فيه حيث كان السواد شعاره.

ويلحق بهذا ما ورد عنده عن الشعارات في الحرب وهي ما يشبه كلمة السر أو الهتاف[1].

وأخيراً فإن من يبحث في ألبسة العرب وأنواعها ومواضع استخدامها ومناسباتها ومواد نسجها أو صبغها وما هو مخصص للرجال أو النساء يجد في المصنف مادة مناسبة في هذا الموضوع[2].

أهل الذمة :

أشار ابن أبي شيبة باختصار إلى معاملة أهل الذمة وذكر أن عمر بن الخطاب كان يرفع الجزية عمن أسلم منهم ويفرض الخراج على أرضه، ومن كان له أرض أخذت منه ردت إليه، أما الذين بقوا على دينهم فقد كانت ترقم رقابهم[3]. وربما للتفريق بينهم وبين من أسلم من بني ملتهم. وقد اتبع هذا الإجراء نحوهم في العصر العباسي.

وهي نصوص تصلح لمن يدرس أحوال أهل الذمة في العصرين الأموي والعباسي حيث حاول بعض الولاة إبقاء الجزية على من أسلم، وألزموا أهل الذمة بلباس أو لون معين.

---

(١) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٥٠٣-٥٠٦.
(٢) ابن أبي شيبة ج٨ ص٤١١، ٤٣٠.
(٣) ابن أبي شيبة ج١٢ ص٢٣٣-٢٣٤، ٣٤٦.

الخـاتمـة

إن وقوع الأخبار والحوادث التاريخية في المصادر الحديثية الأولى يعد سنداً مهماً في قبولها ويرفع من حقيقة وقوعها وقيمتها ليس من الناحية المنهجية ولاسيما النقدية فحسب وإنما من حيث الاقتداء والتأسي ولا يخالجنا أي شك بأنها خضعت لنفس معيار تلك العلوم أو قريباً منه وهو معيار دقيق تحرى فيه أولئك العلماء أيما تحري، وحسب التاريخ أن يخضع له، وأن تعار مروياته وأحداثه تلك الدقة. وهو بعد ينبغي أن يأخذ حقه لدى الباحثين المحدثين في مجال التاريخ إزاء المعلومات التاريخية الواردة هناك.

ولهـذا فإن كتب الحـديث تساعد في تفسير الأحداث التاريخية وتعليل المـوقف منها وتقويمه أنىّ كان صانعه وتقدم نظائر له مهمة، يمكن القياس عليها في كثير من فروع التاريخ، وتحقق أحد مقاصد دراسته المهمة سواء من حيث الحكم والاقتداء من عدمه، أم من حيث المنهج المطلوب المتمثل في تجاوز مرحلة الوصف والسرد الذي غلب على كثير من كتب التاريخ والدراسات التاريخية الحديثة إلى مرحلة التفسير والتحليل والمقارنة والتشخيص.

إن الرصد والإشارة إلى فروع التاريخ عند ابن أبي شيبة تؤكد هذه الحقيقة في ضرورة العودة مرة أخرى إلى المصادر الحديثية والورود على مناهلها فهي تشتمـل على الكثير من فروع التـاريخ وأبوابه مثل كتب الصحاح والمسانيد والسنن وسوف تسهم بجدارة ليس في إثراء مادتها على أهمية ذلك، وإنما في تأصيلها وتوثيقها ولاسيما في الفترات التي تسوهل في تدوين أحداثها وكانت تلك المصادر معاصرة لها أو قريبة من ذلك.

ولو لم يكن من هذه الدراسة عدا التأكيد على المؤرخين بضرورة عنايتهم بدراسة التاريخ عند المحدثين من أصحاب المصنفات والمسانيد والصحاح والسنن وضرب المثال بجهود أحدهم لكفاها، وفوق كل ذي علم عليم.

المصادر والمراجع

القـرآن الكـريم.

البغدادي : إسماعيل باشا :

ـ هدية العارفين، وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥١م.

البخاري : الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل :

ـ كتاب التاريخ الصغير، تحقيق محمود زايد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٦م.

ـ الجامع الصحيح، المكتب الإسلامي، استانبول، ١٩٧٩م.

البلاذري : أبو العباس أحمد بن يحيى :

ـ أنساب الأشراف ج٣، تحقيق عبدالعزيز الدوري، بيروت، ١٩٧٨م.

ـ فتوح البلدان، تحقيق عبدالله الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٧م.

حاجي خليفة :

ـ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ط٣، طهران، ١٣٨٧هـ.

ابن حجر : أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني :

ـ تهذيب التهذيب، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ١٣٢٧هـ.

الخطيب البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي :

ـ تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د . ت).

الدارمي : عثمان بن سعيد :

ـ تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي عن أبي زكريا يحيى بن معين، تحقيق أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان :

ـ سير أعلام النبلاء ج١١، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.

ـ ميزان الاعتدال، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٣م.

سليمان بن حمد العودة :

ـ السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام، الرياض، ١٤٠٧هـ.

ابن أبي شيبة : الحافظ أبو بكر عبدالله بن محمد :

ـ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق مختار أحمد الندوي، الدار السلفية، بمباي الهند، ١٩٨١م.

الصنعاني : أبو بكر عبدالرزاق بن [redacted]
ـ المصنف، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي بالهند، ١٩٧٢م
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير :
ـ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف ١٩٧٩م.
عمر بن شبة النميري :
ـ كتاب تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم شلتوت، ط٢، نشر السيد حبيب أحـ ١٤٠٢هـ.
ابن كثير : الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن عمر :
ـ البداية والنهاية ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤م.
محمد مصطفى الأعظمي :
ـ مقدمة كتاب مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، تحقيق محمد الأعظمي، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠١هـ.
المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين :
ـ التنبيه والإشراف، المكتبة العصرية، بغداد، ١٩٣٨م.
مسلم بن الحجاج النيسابوري : [redacted]
ـ صحيح مسلم، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، (د . ت).
المقدمي : محمد بن أحمد :
ـ كتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم، تحقيق إبراهيم صالح، دار العروبة بالعمار، بيروت، ١٩٩٢م.
النديم : أبو الفرج محمد بن إسحاق :
ـ كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٣٩١هـ.
نصر بن مزاحم المنقري :
ـ وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون، ط٣، المؤسسة العربية الحديثة ١٩٨١م.
ابن هشام : أبو محمد عبدالملك :
ـ سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد، القاهرة، (د . ت).
ياقوت الحموي :
ـ معجم الأدباء، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٢٢م.
أبو يوسف : يعقوب بن إبراهيم :
ـ كتاب الخراج، ط٢، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٦٢م.